



التمايز في شرح العقيدة المسيحية (٥)

بين الشرق والغرب

دكتور

رؤوف إدوارد

٢٠١٧

التمايز في شرح العقيدة المسيحية (٥)

بين الشرق والغرب

الموت كحالة لا عقوبة، في فكر القديس أثناسيوس الرسولي

يقول ق. أثناسيوس في كتاب تجسد الكلمة أن [الله خلق الجنس البشري على صورته ومثاله، و أخذ نصيباً في قوته، فصاروا يتبعونه مثل تبعية الظل للنور ... (وعند ظهور المخلص بيننا، يتحتم علينا التحدث عن أصل البشر) المخلص ذاته صار الأصل الجديد للبشرية عوضاً عن آدم]. فالمسيح كلمة الله هو صورة الله التي خُلِقَ عليها الإنسان. ويُعرّف أثناسيوس الصورة الإلهية في الإنسان أنها [الشركة في قوة الكلمة ... حياة منسجمة مع الله ... أن يعيش الإنسان كالله]. ويقول أيضاً أنه بحسب خطة الله كان الإنسان قبل السقوط، وهو في جنة عدن في حالة شركة مع الله وعلى صورة الله، كان مُقَدَّرًا له - إذا استمر صالحاً - أن ينتقل من الفردوس في الأرض إلى السماء {سبق شرح موضوع تاريخ الإنسان: العدم. الوجود. الموت. الخلود. في خواطر مسافر (٤٦)} . وذلك عن طريق (الموت الطبيعي)، الذي به يتم إنحلال الوجود الإنساني (الفساد الطبيعي). فالموت كان نتيجة طبيعية لخلق الإنسان من العدم لينتقل بعدها إلى حالة عدم الفساد والخلود في السماء. ولكن الإنسان تعدّى بالخروج على نعمة الله وبدّد الصورة الإلهية فيه، فحرّم الإنسان نفسه من نعمة الشركة في الكلمة ابن الآب. وصار مديوناً بضيايع وزنة الصورة الإلهية وتبديد النعمة الإلهية. وبالتالي جلب على نفسه الموت، والذي بسبب خطية الإنسان صار كقانون له سيادة وسلطان على الإنسان إلى الأبد (موت الخطية). وهكذا لم يكن حكم الموت إلّا نهايةً لخليقة لم تصل بعد إلى غاية خلقها. ولذلك دُعي موت الخطية بأنه "موت بطل" (رو ١٢: ٢٠) لا موت "إنتقال". وهذا يفسر كلمات الصلاة على الراقين: إنه ليس موتٌ (موت الخطية وموت البطل) لعبيدك

بل هو إنتقال (الموت الطبيعي). فبحسب شرح ق. أناسيوس فإن فقدان نعمة الشركة مع الله هو الدّين الذي ينبغي سداده. وبوفاء هذا الدّين ترجع صورة الآب إلى الإنسان. والمسيح هو صورة الله لأنه ”بهاء مجد الله ورسم جوهره“. وبناءً على تعليم اللاهوت الشرقي عن طبيعة الإنسان من حيث أنه مخلوق على صورة الله ومثاله، تكون الخطية قد مسّت أدق نقطة في كيان الإنسان وهي ماثلة الإنسان لصورة الله. وبعبارة أخرى، لم تكن الخطية إعتداءً على ناموس موسى، لأنه لم يكن قد أُعطي بعد. ولكن الخطية كانت تفريطاً في النعمة وخروجاً على غاية الخلق وعلاجها هو رّد النعمة وتحديد خليفة الإنسان. لذلك كان تجسد الكلمة صورة الله، ضرورة لردّ الصورة الإلهية في الإنسان يسوع المسيح. القديس أناسيوس لم يذكر أن الموت كان ”عقوبة“ من الله للإنسان بل ”حُكم“ صدر قبل سقوط الإنسان كإندار، في حالة تخلي الإنسان عن غاية خلقه في أن يحيا حسب الصورة الإلهية ورَفَضَ الشركة مع الله. عندئذ سيعود الإنسان إلى حالته الأولى من موت وفساد (عدم) للأبد كما ذكرنا. فعدم البقاء في النعمة يؤدي بالضرورة إلى (يَحْكُم) تحوّل حالة الطبيعة الإنسانية. وبهذا وَضَعَ ق. أناسيوس التعليم الرسولي السليم المختلف تماماً عن مؤلفات اللاهوت الغربي في العصر الوسيط. فعندما فقد العصر الوسيط موضوع خلق الإنسان على صورة الله، سقط في برائن الشرح القانوني للخلاص. فشرّح اللاهوت في الشرق يختلف عن الغرب في أن جوهره ليس هو علاج مشكلة أسمها ”الخطية“، بل ”بتحديد الطبيعة الإنسانية“. لذلك لا يذكر أناسيوس كلمة ”الخطية“ بكثرة كما في مؤلفات العصر الوسيط. ولا يذكر أن المسيح أباد الخطية، بل أباد الموت وحرّر الطبيعة الإنسانية من الفساد. وكذلك غاب موضوع الخطية الأصلية، ليس عن كتابات أناسيوس فقط، و لكن عن كل مؤلفات الآباء الشرقيين. فالقديس أناسيوس يؤكد أن البشر ورثوا الفساد والموت من آدم ولم يرثوا خطية آدم (الخطية الأصلية) (تجسد الكلمة ٧:٢). وبينما اللاهوت الشرقي يهتم بكيان الإنسان الداخلي وأنه مخلوق على صورة الله، فإن الغرب إهتم بالخطية كفعل عصيان وتعدي على حقوق الله. وبالتالي إعتبر الغرب الموت عقوبة للعصيان كما تقضي عدالة قوانين البشر، التي فيها العقوبة لا تُحدد الخطأ على أساس تَغْيُرٍ و تحوّل في طبيعة الإنسان بل على أساس مسؤولية الفعل والإرادة أمام

الواجبات المفروضة، و بالتالي لا مجال فيها لغفران أو شفاء أو تجديد للطبيعة. وبذلك أشتبك العدل بمفهومه الأرضي مع رحمة الله ولم يكن من حلٍ لمغفرة الخطية سوى تجسّد ابن الله للقصاص من الخطية بموته كفدية بدلاً عن الإنسان (نظرية البديل العقابي) ليوفي عدل الله (حسب مفهوم البشر للعدل). وهكذا تعرّب هذا الفهم للخلاص عن تجديد الطبيعة الإنسانية بالتجسد الإلهي، ليشتبك في حل مشكلة عدل بشري أسقطها على الله. لذلك لا تجد هذا المفهوم في شرح ق. أثناسيوس أو في اللاهوت الشرقي للخلاص.

والسبح لله. (يُتبع)

بقلم : د. رءوف ادوارد.